« النفي » غير المبرر . من نكبة ١٩٤٨ حتى هزيمة ١٩٦٧ ، امتدت خامة جيل تبحث عن قسماتها ، في مرحلة من أشد مراحل الانسان تأثرا . وهي تحت ضغوط لعنة تاريخية لا ترتخي مخالبها ولا السنة نيرانها ساعة واحدة . فيها بدأت بوادر الشعـــر المقاوم الشاب ، تتعرف على الاعداء ، وتتلمس الارض اللصيقة ــ المفقودة معا . والمواطن ــ الغريب معا . وبهذا ، ليس من الصعب ان تنمو تلك الحساسية الشعرية الجديدة على ارض تستحق الغناء . والى جانب ذلك ، ليس من السهل ، ان يكون هذا الشعر هو الهم الكبير .

ان تلك الاصوات من توفيق زياد ــ الى محمود درويش وسميح القاسم لم تلفت نظر النقاد ولا القراء ، قبل حزيران ، رغم توفرها المعقول ، في حدود ما تبيح له الاسلاك الشائكة ان يخرج ، شأنها شأن عشرات الاصوات الموهوبة على ارض الوطن العربي الواسعة . فكانت العدالة النقدية « الظالمة » واحدة ، وموزعة على الجميع .

بعد حزيران ، التفت الجميع ، جمهورا وكتابا نحو فلسطين ، وكأنها خلقت فجأة مدماة بين مخالب الطمع الخارجي . فعصفت بهم المشاعر ، لتلوين كل جزء من الوطن المحتل بفرشاة ، تنبعث الوانها من تأنيب داخلي . وكان نصيب نقاد الشعر وقرائه وشعرائه ، أولئك الافراد من الشعراء المعدودين تحت الاحتلال وفوق الارض البعيـــدة البعيدة والقريبة في كل قلب ،حتى اصبحت بين الكلمة والقصيدة الشعرية في الداخل وبين قرائها ونقادها في الخارج الف غلالة وغلالة من الحب . ولقد عرف شعراء الارض المحتلة الشباب المفاجأة حينها . فأمتعهم هذا الاهتمام المفاجيء ، وأثار حماسهم ذلك التقدير والتقييم الواحد ــ المتفق عليه ــ ، حتى الوقت الذي اصبح فيه ذلك الاهتمام وذلك الحماس مقصلة في عنق القيمة الابداعية الحقيقية ، بحيث لم يحتمـــل شاعر صـــادق كمحمود درويش الا ان يصرخ « انقذونا من هذا الحب القاسي » .

وبدأت ، في الفترة المتأخرة ، النظرة المتأنية ، فالشاعر صلاح عبـــد الصبور يجـــدهم جميعا « اصحاب تجارب جديدة وانهم لم يبلغوا بعد الدرجة التي تتيح لهم ان يطمئنوا الى اسلوبهم وان يطمئنوا الى الآفاق التي يصبون اليها ويتجاوزونها »(٢٢). والشاعر خليل حاوي يجد في شعرهم « ردة فعل مباشرة صادقة لما نحسه ونعانيه . اما من حيث البناء ، اي ان يبني احد هؤلاء الشعراء بناءا شعريا ضخما يعادل ضخامة الحجر فهذا لم يتحقق بعد . وربما كان للزمن فعل كبير هنا »(٢٣). في حين يتساءل ادونيس : هل في الارض المحتلة « شعر مقاومة » ؟ لست واثقا . بشعر المقاومة اعني اولا الشعـــر الذي يحمله المواطن على شفتيه وفي قلبه كما يحمل المقاتـــل البندقية . واعني ثانيـــا الشعر الذي يكون عاملا يصنع زمانه ــ يتحول ، بما يحمل من الطين والماء الصافي ، الى نهر كبير يجرف ويغسل ويغير . بل لست واثقا ان في الارض المحتلة شعراء مقاومة، بالمعنى الدقيق الكامل . ان فيها ، بلا شك قصائد مقاومة ، وهي قصائد توحي ، في مجملها ، انها دفاع عن بشر مظلومين وحريات مضطهدة ، اكثر مما توحي بانها هجوم مضاد تقوم به الجماهير كقوة تحرير وتحرير . لذلك يقتصر دور هذه القصائد علـــى تحريك العواطف والمشاعر ، ولا يتجاوزه الى التأثير في مجـــرى تفكير الجماهـــير وفي تطورها النضالي والثقافي »(٢٤).

ويكاد الناقد غالي شكري يتفق مع هذا الراي بعض الشيء . الا انه في كتابة « ادب المقاومة » يخضع « لهواية التلاعب بالالفاظ او الافكار » كما عبر درويش . فهو «يختار من مصطلح « ادب المقاومة » المعنى الاوسع للكلمة بمعالجة ما يبدو له انه ادب مقاومة في شتى البلدان وفي شتى الازمنة ، ولكنه يتنازل عن هذا المعنى الواسع ويتشبث بأضيق معاني المصطلح عندما يصل الى بلد ما في منطقة الشرق الاوســـط ، فيصبح الموقـــع